

# «الحرمين» لعموم المسلمين

المملكة تستقبل الحجاج من طهران وتل أبيب وتُصعّب على أهل قطر



التسهيلات في نظرهم : لا جو ولا بر .. ممنوع العملة .. لا منح للتأشيرات !

وعدم استخدام المجالين الجوي والبحري، على أن يكون السفر من خلال عواصم أخرى مثل الكويت ومسقط، على طريقة المثل الخليجي: «بين أذنك يا حيشي»!

هذا كله عدا خطاب الكراهية الذي شحنت به الشعب السعودي ضد أشقائه القطريين، مما يجعلهم عرضة للإيذاء من بعض المشحونين!

لا نفهم ذلك أبداً، ولا يوجد له أي عذر أو مبرر، وما تفعله سيجعلها في نظر العالم الإسلامي متجاوزة لضوابط المتعارف عليها، والعهود المتفق حولها، وخلصتها عدم منح المسلمين من أداء مشاعرهم، وعدم التصديق عليهم، وهي التي تعهدت في بيانها الرمضاني الأول، عبر خارجيتها، للحفاظ على التسهيلات المقدمة للحجاج والمعتمرين من قطر، لكنها خالفت ما تعهدت به، وأقحمت السياسة بالدين والقدسات والشعائر، وهو أمر مذموم، غير محمود، سيفتح الباب عليها مرة أخرى بعودة المطالب التي سمعناها مراراً بتدويل الحج، ووضع تحت إشراف دولي وأممي إسلامي.

ليس من حق أحد صد مسلم عن بيت الله الحرام، إن جاء في طائرة، أو فوق ناقه، أو واكباً حافلة، أو حتى ماشياً على قدميه، فما يالكم حجيج قطر ولدينا الإسلامي الحنيف، وهذا لا يحتمل مخالفة صريحة لديننا الإسلامي الحنيف، ولا وإن ملك حرمي، ألا برع حول الحرم يوشك أن يرتع فيه، كما قال رسولنا الكريم: «إن الحلال بين والحرام بين، وبينهما أمور مشتبهات لا يعلمن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام، كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب».

وعلى ما نخشاه أن تكون هذه الضغائن، مصدرها قلوب صدت من سبيل الله، وتغاصت في ملبات الدنيا، وتغلغلت في الفساد وأصبحت عنقاً على البلاد والعباد!

بن عبدالعزيز عام 1986، حيث أعلن الملك فهد تغيير لقب صاحب الجلالة ليصبح «خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود»، ليكون أول ملك للمملكة العربية السعودية، يقبّل ببدا القلب، ومعناه القائم على خدمة الحرمين الشريفين، المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف.

هذا القبول يفرض مسؤولية مضاعفة تجاه السور على حجاج بيت الله الحرام، والقائم على أمورهم، وتسهيل وصولهم، وتحليل العقبات التي تحول دون تمكنهم من إتمام هذه الفريضة، وما يوجب القلب أن تصدر قرارات العرفلة عن حكومة خادم الحرمين لأسباب خلافية، وهي تتناقض تماماً مع الآية الكريمة التي بدأتها بها «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً».

تحدثنا عن الحجاج الإيرانيين والعراقيين، ومن هؤلاء من يرى في الحج وسيلة للتعبير عن مواقف وآراء سياسية، وسمعت من خلال وسائل إعلام، وتحديداً بلومبيرغ، أن إسرائيل تبحث فتح خطوط مباشرة من تل أبيب إلى جدة للحجاج من عرب 48، من باب التسهيل عليهم.

وإذا كانت السعودية ترى أن من واجبها، وهو كذلك، تسهيل وصول حجاج بيت الله الحرام من كل دول العالم، فإتنا لا نفهم لماذا تمسّر على أهل قطر، وتحرض عليهم في الإعلام من خلال خطاب الكراهية، وتتحمك في الحج وتقوم بتسييسه، رغم جهودها ووعودها لاستقبال كافة المسلمين بمن فيهم القادمون من طهران وتل أبيب!

وعلى ذكر إسرائيل، شاهدنا في الإعلام المطبّل تتسارع حكومات دول عربية على نسب قرار وقف سلطات الاحتلال الإسرائيلي بناء دوابات إلكترونية حول المسجد الأقصى لجهود الملك، واتصال الرئيس، وتوجيه القائد، كل حسب صفته ومكانته وطريقة تعاضن وسائل إعلام مع الجبر، على الرغم من أن الفصل الحقيقي لم يذكر في هذه الأبنواق العربية، وهو أن الفضل بعد الله سبحانه وتعالى، يعود للمرابطين الفلسطينيين والقاميين الإسلام، الذين تصدوا لهذا المشروع الفاضل، حتى أصبح قراراً باطلاً!

والسبب الذي نستنتج منه أن هذه القيادات العربية لم يكن لها دور مؤثر في إيقاف القرار، هو أنها لم تستنكر، قبل أسبوعين، إغلاق أولى القبلتين وثالث الحرمين، ومنع المسلمين من الصلاة فيه، كما لم يدينوا الهجوم عن غزة قبل شهر، ومن هنا تظهر الدلائل والشواهد والقرائن، فمن كان حريصاً على القضية فسبوك حاضراً في كل فضولها ومشاهداتها، ولا يكتب على سطر ويترك مسطوراً!

وعودة إلى موضوع الحج المعلق حتى كتابة هذه السطور، والسبب أنسب الأشراف، فقد ورد في كتاب «الإشراف على المعتنقين بتدوين أنساب الأشراف»، قول الشريف فوزان العبدلي أن الشريف مكة قدّم للسلطان العثماني سليم الأول سنة 923 هـ لقب «خادم الحرمين».

وكان أول من اتخذ من بعد السلطان سليم الأول هو الملك فهد

التي اعتادت عليها، ليس هذا فحسب، بل وصلت عناصر من الحشد الشعبي للعمرة مع رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي، وأربابنا وزير الداخلية العراقي قاسم الأعرجي، كيف تم استقباله بالأحضان خلال زيارته للسعودية، بناء على دعوة رسمية، وللتذكير فقط.. فإن الأعرجي كان قد دعا إلى نصب تمثال لقائد فيلق القدس الإيراني قاسم سليماني في العراق، وهو أيضاً أحد قادة ميليشيا «منظمة بدر» المدعومة إيرانيًا، وهو الشخصية المثيرة للجدل في الوسط العراقي، بسبب دوره في الإرهاب، وتأجيج المواجهات الطائفية في العراق تحت عطفه محاربة داعش.

لسنا بصدد الحديث عن الأعرجي، والشأن العراقي مسؤولية حجاجنا وعرفلة وصولهم إلى الحج، في حين تفتح أبواب المملكة العربية السعودية حتى لأكثر الناس عداً لها.

هذه ازدواجية لا يمكن فهمها، وتتناقض تصعب فهمها، ومع ذلك فهي شأن السعودية، لكن ليس من شأننا أن يمنعوها حجيجنا ويضعوا العراق التي تحول دون تأدية فريضتهم، بلا سبب معقول أو مفهوم، وكل ما عرف عن هؤلاء الحجيج حرصهم على تأدية مناسكهم بيهود وطمأنينة ونظام والتنظيم.

هم قبل كل ذلك أشقاء، وهم الأقرب للشعب السعودي، تجمعهم علاقات القرى والإخاء والدين والعروبة، لكن كل ذلك لم يشفع لهم أمام قرارات حكومة «خادم الحرمين الشريفين»، التي اختارت حرمانهم من تأدية فريضتهم، ووضع الصعوبات في طريقهم.. لأغراض سياسية، وأسباب دينوية ما أنزل الله بها من سلطان!

وبالحديث عن لقب «خادم الحرمين الشريفين»، ربما يتذكر القارئ الكريم أن أول ذكر له ورد على لسان يوسف بن رافع بن شداد (ت 632 هـ)، حيث لقب به السلطان صلاح الدين الأيوبي (ت 589 هـ) في كتابه «النوادر السلطانية»، قال: «خادم الحرمين الشريفين أبي المظفر يوسف بن أيوب بن شادي».

كما أنه يوجد نقش على قبعة يوسف، الواقعة في الجهة الجنوبية لصحن قبة الصخرة المشرفة بين القبة الجنوبية ومنبر برهان الدين، جاء فيه: «بسم الله الرحمن الرحيم وصواته على محمد النبي وآله، أمر بعمارته وحفر الخندق مولانا صلاح الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، خادم الحرمين الشريفين وهذا البيت المقدس، أبو المظفر يوسف بن أيوب محي دولة أمير المؤمنين، أدام الله أيامه ونصر أعلامه».

ثم اتخذ القلب الخليفة العثماني سليم الأول، بعد أن سمع خطيب مسجد دمشق يدعو بحاكم الحرمين الشريفين في خطبة الجمعة، فقد ورد في كتاب «الإشراف على المعتنقين بتدوين أنساب الأشراف»، قول الشريف فوزان العبدلي أن الشريف مكة قدّم للسلطان العثماني سليم الأول سنة 923 هـ لقب «خادم الحرمين».

وكان أول من اتخذ من بعد السلطان سليم الأول هو الملك فهد

مع بدء العد التنازلي لدخول موسم الحج، الركن الخامس في الإسلام، مازالت حكومة «خادم الحرمين الشريفين»، تصر على معاملة المسلمين القادمين من دولة قطر معاملة مختلفة عن بقية المسلمين من كل أرجاء المعمورة، بوضع الصعوبات والمنغصات في طريقهم، مما يجعلهم غير قادرين وغير آمنين في القدوم إلى أطهر بقاع الأرض، في ظل شحن وحقد واحتقان وتحريض لم يسبق له مثيل، تقوده وسائل إعلامية برعاية حكومية!

يقول الله عز وجل في حكم تنزيله «ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً»، وقد قيل الكثير في تفسير هذه الآية الكريمة، ومعنى «استطاع سبيلاً» أي وجد سبيلاً وتمكن منه. ولتعملاء في تفسير «السبيل»، أقوال، اختلفت الفاظها واتحدت أغراضها، فسبيل القريب من البيت الحرام سهل جداً، وسبيل البعيد الرحلة والزاد، ولذلك قال مالك: «السبيل: القدرة، والناس على قدر طاقتهم وسيرهم وهدمهم».

إذن، فإن من يسافر من الحج تتفاوت قدراتهم المالية والجسدية، فالبعيد لا يستطيع تحمل نفقات السفر جواً فيلجأ للسفر براً، والبعض لا يستطيع أن يتحمل حتى نفقات السفر براً، فأبطل له العلماء العمل أثناء سفره ليكسب قوته، ويتمكن من أداء الفريضة.

هنا في وسع أحد منح هؤلاء من الحج؟

الإجابة ليست صعبة، ولا خلاف عليها، فقد أجمع جمهور العلماء على أن من يمنعه غيره عن أداء المنسك الواجب عليه بغير حق فيداً غير جائز شرعاً، قال تعالى: «وتُصَدَّقُونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَا لِلنَّاسِ سُبُوًّا» (الحج: 25).

هذه المقدمة كان لا بد منها في معرض الحديث عن الصعوبات التي تواجه حجاج قطر، وهي القضية التي شغلنا جميعاً، ولا اعتقد أن هناك من يخالف ما ذكرته فيها، فالحج هو إحدى الشعائر الدينية الإسلامية، وهو الركن الخامس من أركان الإسلام، وفرض على كل مسلم قادر على أدائه، وبالطريقة التي تناسبه وتتناسب إمكانياته، وهذا يعني أنه لا يحق لأي جهة أو سلطة منق توافد الحجاج القادمين من قطر عبر أي وسيلة وختارونها، سواء كانت عن طريق البر أو الجو، كل حسب قدراته، وما تراه اليوم يخالف ما تم ذكره، وهو يتدرج في باب العرفلة والتعقيد لصد مسلمين ومنعهم عن أداء هذه الفريضة المقدسة، وهم أبناء بلد جبار مسلم، لم يظهر منهم ما يستدعي المنع، وسددهم عن سبيل الله، وقد ذكر القرآن الكريم أصنافاً أربعة ممن يصدون الناس عن سبيل الله، وهم: الكفّار، والشيطان، والكافرون، والمنافقون.

والذين يصدون حجيجنا اليوم، أخشى ما أخشاه أنهم يتحملون أوزاراً ثقيلة، على اعتبار أنه لا يوجد على الإطلاق ما يبرر أفعالهم، لا شرعاً ولا أخلاقاً، في حين يتم وضع العراقيل أمام حجيجنا، فإتنا نتابع جميعاً كيف أن حجج إيران، التي حاصرتها قطر من أجلها، يستعدون للحج بالجمعة التي تنقضيها، وبالطريقة

محمد حمزة المري  
رئيس التحرير المسؤول  
Email: mohab-marr@al-watan.com  
T: +96522222222  
www.mohabmarri.com  
العدد 29 يوليو 2017

قلوب غاصت في مصالح الدنيا وتغلغلت في الفساد وأضررت بالعباد

البعض يتفاهر بوقف بوابات الأقصى قبل أسبوعين !